(٢٠)

قول المحاسبي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ((وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى: «فَهْم القرآن» قال)) قبل أن نمضي في هذا أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي رحمه الله إمام معروف وشخص معروف إلا أن الذهبي رحمه الله في ترجمته عنه قال "الزاهد العارف شيخ الصوفية وصاحب التصانيف الزهدية، وقد دخل في شيء يسير من الكلام فنقم عليه، وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه وحذر منه من وجه آخر". فعلاً قد ورد عن الإمام أحمد التحذير من الحارث بن أسد المحاسبي وأثنى عليه من وجه آخر. وهكذا فإن أهل السنة أهل عدل وإنصاف فيثنون على المرء ما وافق فيه الحق وينكرون عليه ما خالف فيه الحق. والحارث بن أسد وكذلك من كان على شاكلته يقال عنهم **الصفاتية**، الحارث بن أسد المحاسبي وأبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري وابن كلاب وأبو منصور الماتريدي – هؤلاء محبون للسلف مشتغلون بالآثار إلا أنهم وقعوا في شي من علم الكلام خرج بهم عن السنة المحضة. والواجب تجاه هؤلاء أن يحسن بهم الظن ويدعى لهم بالخير ويستدرك عليهم ما أخطؤوا فيه، فإن هذا من الإحسان إليهم أن ينبه على ما زلوا وأخطؤوا فيه. لكن الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة وقد نبه على هذا نبه أنه ينقل عن جمع ولا يلزم من نقله عنهم جميعًا أنه يرتضي جميع مقالاتهم، فقد نقل عن أناس من الصوفية والمتكلمين ما أصابوا فيه الحق وسر ذلك أن نقله من هؤلاء الأكابر عند متبوعيهم من أقوى الأسباب لقبول الحق. فإن الرجل إذا كان معظمًا مسموعًا من طائفة وقيل "هذا شيخك فلان هذا إمامك فلان يقول كذا وكذا في كتابه كذا وكذا" كان هذا أدعى إلى القبول. فلأجل ذا نقل الشيخ رحمه الله عن جمع منهم ما وافقوا فيه السنة والحق وإن كان قد لا يرتضي جميع ما صدر عنهم.

((قال في كلامه على . الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار . قال: «لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وأسمائه وصفاته يجوز أن ينسخ منها شيء.)) هذه قضية معروفة أنه لا نسخ في الأخبار فإذا جاء الخبر عن الله وعن رسوله ﷺ فلا يمكن أن ينسخ إنما تنسخ الأحكام، لأن الكلام خبر وإنشاء. فالخبر عند الأصوليين هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته بصرف النظر عن المتكلم به، ولا شك أن ما كان عن الله ورسوله فهو حق لا يحتمل الكذب قطعًا. لكنه قسيم الإنشاء لأن الإنشاء طلب فعل أو طلب ترك يعني أمر ونهي. فالأخبار لا يمكن أن يدخلها النسخ لأنه لا يمكن أن يقول الله جرى كذا وكذا ثم يقول لم يجر، لأن الأخبار عند الأصوليين وعند العقلاء لا يدخلها النسخ وإنما النسخ متعلق بالأحكام.

((إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنية سفلى، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم ولا الكلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

فإذا عرفتَ ذلك واستيقنته: علمتَ ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره؛ كقوله عن فرعون: {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ} [يونس:٩٠]، وقال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ} [محمد:٣١].

وقال: قد تأول قوم أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار إذ قد آمن عند الغرق، وقالوا: إنما ذكر الله قوم فرعون يدخلون النار دونه، وقال: {فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} [هود:٩٨]، وقال: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} [غافر:٤٥]، ولم يقل بفرعون، وقال: وهكذا الكذب على الله، لأن الله تعالى يقول: {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [النازعات:٢٥]))

هذا المثال الذي نبه عليه الحارث بن أسد وهو المغالطة التي تقع من بعض الناس. ولعل هذا يقع من بعض ضلال الصوفية أن فرعون حينما أدركه الغرق قال {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} إلى أن قال {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً} فوهم بعضهم أن فرعون استثني أن يدخل بدنه النار وصاروا يجمعون لذلك شواهد فيما توهموا أن الله تعالى قال عن قومه فأوردهم النار ولم يقل فأورده وأوردهم، وقال حاق بآل فرعون ولم يقل بفرعون، فكذلك الكذب على الله لأن الله تعالى يقول فأخذه الله نكال الآخرة الأولى فأخذه الله ومن هو ؟ فرعون، ولهذا يجب أن ينظر الإنسان للنصوص مجتمعة لأن طريقة أهل البدع أن يجعلوا القرآن عضين فينظرون لطائفة من النصوص ويغضون الطرف عن طائفة أخرى كما تصنع القدرية حينما تبصر النصوص الدالة على إثبات أفعال العباد ولا تبصر النصوص الدالة على سبق مشيئة الله وقدره، أو الجبرية حينما تعكس القضية حينما تنظر للنصوص الدالة على طلاقة مشيئة الله وخلقه لكل شيء لا تبصر النصوص الدالة على إثبات أفعال العباد. فأما أهل الهدى والإيمان فهم ينظرون للنصوص مجتمعة فتلتئم ويصدق بعضها بعضًا {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} أي يشبه بعضه بعض ويصدق بعضه بعض. فهذا مثال ضربه الحارث بن أسد لمن يخالف في القرآن فيدعي مثل هذه الدعاوى. أما المثال الآخر ((**وكذلك قوله تعالى: {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا} [العنكبوت:٣] فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله عز وجل عن أن يستأنف علمًا بشيء، لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه نجده ضرورة. قال: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤]، قال: وإنما قوله {حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ} إنما يريد حتى نراه، فيكون معلومًا موجودًا، لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدومًا من قبل أن يكون، ويعلمه موجودًا كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدومًا موجودًا وإن لم يكن، وهذا المحال**)) هذا المثال الثاني مما يلبس به بعض القدرية الذين ينكرون خلق الله لأفعال العباد، فقالوا إن قول الله تعالى {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} (محمد ٣١) دليل أنه تعالى لم يقدر أفعال العباد فلا يعلمها إلا بعد صدورها منهم. فيستدلون بذلك على نفي علم الله السابق. وهذا مذهب القدرية النفاة الذين هم أوائل القدرية الذين قال قائلهم إن الأمر أنف يعني مستأنف على الله ولا يعلم تعالى من سيطيعه ومن سيعصيه فبين رحمه الله بطلان هذا المسلك في التفكير وبين أن علم الله سبحانه وتعالى له متعلقات علم به من حيث تقديره له منذ الأزل وعلم له بعد تحققه في الواقع. فإنه قد علم بأنه سيكون كذا وكذا فإذا وقع فإنه يعلمه سبحانه واقعًا. فقد علمه معلومًا وعلمه موجودًا فلا تعارض ولا متعلق لهؤلاء المبطلين بهذه الآية لإثبات بدعتهم بنفي علم الله السابق.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ

وننبه أن أمثال هذه الإشكالات والمغالطات تطرأ على بعض الناس ولذلك كتب الشيخ السعدي في كتابه القواعد الحسان أمثلة من هذا وأجاب عنها وأطال فيها النفس فليرجع إليها.

((**إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: {إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ} [الشعراء:١٥] ليس معناه أن يحدث له سمعًا، ولا تكلف لسمع ما كان من قولهم وقد ذهب قومٌ من أهل السنة أن لله استماعًا حادثًا في ذاته، فذهبوا إلى أن ما يعقل من الخلق أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قوله؛ لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت**)) في هذه العبارة قلق كما ترون لكن مراده أن الله ﷻ لا يكتسب العلم بمجرد السمع بمعنى أنه لا يعلم ما سيقولون وإنما يعلم به إذا سمعه منهم، لا، قد علم تعالى بما سيقومون به ولكن علمه مسموعًا بسمعه لهم حينما صدر منهم. فالعبارة فيها شيء من العسر، لكن هذا هو المراد. ((**وكذلك قوله: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} [التوبة:١٠٥]، لا يستحدث بصرًا محدثًا في ذاته، وإنما يحدث الشيء فيراه مكونًا كما لم يزل يعلم قبل كونه**)) يعني مراده أنه لا يحدث له صفة لم تكن له من قبل بل هو ﷻ علم ما سيعملون على صورته وهيئته التي يقع عليها ثم علمه سبحانه وأبصره واقعًا منهم موجودًا. ((**إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام:١٨]، وقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥]، وقوله: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء} [الملك:١٦]، وقوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:١٠]، وقال تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [السجدة:٥]، وقال تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج:٤]، وقال لعيسى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران:٥٥]، وقال تعالى: {بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ} [النساء:١٥٨]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} [الأعراف:٢٠٦].**)) كل هذه الآيات الضميمة نسميها آيات إثبات العلو والذات، كل هذه الآيات التي ساقها تدل على علو الذات أي أنه سبحانه بذاته فوق عرشه مستو على عرشه غير ممازج ولا مخالط فوق سماواته ووجه دلالتها قد تقدم فكل جملة منها تدل على معنى العلو.

((**وذكر الآلهة أن لو كان آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا إلى طلبه حيث هو، فقال: {قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً} [الإسراء:٢٤]، وقال تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:١].قال أبو عبد الله: فلن ينسخ ذلك أبدًا.**)) وهذا وجه آخر إذ لو كانت تصح ألوهية هذه الآلهة المدعاة لكان من شأنهم العلو لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً لكن أنى لهم ؟! فهم في السفل فلم يستحقوا الألوهية.

((**قال أبو عبد الله: فلن ينسخ ذلك أبدًا.كذلك قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف:٨٤]، وقوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق:١٦]، وقوله تعالى: {وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ} [الأنعام:٣]، وقوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة:٧]، فليس هذا بناسخ لهذا، ولا هذا ضد لذلك.واعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء، أو يتنقل فيها لاستفالها، ويتبعض فيها على أقدارها، ويزول عنها عند فنائها، جل وعز عن ذلك، وقد نزغ بذلك بعض أهل الضلال، فزعموا أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائنًا، كما هو في العرش، ولا فرق بين ذلك عندهم ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه لأن كل من يثبت شيئًا في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغنِ عنه**

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ

نفيه بلسانه، واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائنًا ثم نفوا معنى ما أثبتوا، فقالوا: لا كالشيء في الشيء.قال أبو عبد الله: أما قوله: {حَتَّى نَعْلَمَ} [محمد:٣١]، {وَسَيَرَى اللهُ} و {إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ} فإنما معناه: حتى يكون الموجود فيعلمه موجودًا، ويسمعه مسموعًا، ويبصره مبصرًا لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر. وأما قوله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا} : إذا جاء وقت كون المراد فيه.

وأن قوله {عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ} {إِذًا لَّابْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً} فهذا وغيره مثل قوله: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفي عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} يعني فوق العرش، والعرش فوق السماء، لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك قال: {فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ} [التوبة:٢] يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها. دونه، وقال: {فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} [هود:٩٨]، وقال: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} [غافر:٤٥]، ولم يقل بفرعون، وقال: وهكذا الكذب على الله، لأن الله تعالى يقول: {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [النازعات:٢٥]، وكذلك قوله تعالى: {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا} [العنكبوت:٣] فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله عز وجل عن أن يستأنف علمًا بشيء، لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر عليه أن يصنعه نجده ضرورة))

هذا رد على حلولية الجهمية فالشيخ رحمه الله ساق آيات المعية وأن الله سبحانه وتعالى له المعية وله القرب مع كونه سبحانه في العلو. فلما ذكر طائفة من الآيات تدل على العلو وأردفها بطائفة من الآيات تدل على المعية تبين أنه لا تنافي بين العلو والمعية وأنه ﷻ علي في دنوه قريب في علوه. فلا تنافي بين الأمرين حتى أنه تعالى يجمع هذين الوصفين في آية واحدة فقال {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فقال في أول الآية {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} ثم قال في آخر الآية {وَهُوَ مَعَكُمْ}، في آية واحدة تضمنت العلو والمعية فدل أن معيته ليست كمعية الخلق بعضهم لبعض. فنقب هذه الأوهام التي تطلع في بعض الأذهان أن مقتضى كونه معهم وأنه سبحانه وتعالى إله في السماء وإله في الأرض إلى آخره أنه يتبعض ويتكيف ويحل في الأشياء وينزول بزوالها ويتقدر بقدرها – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وبها يتبين بطلان قولهم ربنا في كل مكان بل ربنا ﷻ فوق سماواته مستو على عرشه وعلمه في كل مكان فهو يعلم كل شيء. ولهذا قال { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }. ابتدأ الآية بالعلم { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } واختتمها بالعلم { إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }. فلذلك قال السلف "معنا بعلمه" ليقطعوا الطريق على حلولية الجهمية الذين قالوا إنه معهم بذاته. فلا يجوز أن يقال معنا بذاته لأن هذه الكلمة كلمة فاجرة بائرة هي بالضبط حقيقة قول حلولية الجهمية وهو قول أنه معنا بذاته تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا..

((قال: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤]، قال: وإنما قوله {حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ} إنما يريد حتى نراه، فيكون معلومًا موجودًا، لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدومًا من قبل أن يكون، ويعلمه موجودًا كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدومًا موجودًا وإن لم يكن، وهذا المحال.وذكر كلامًا في هذا في الإرادة.))

تبين لنا أن العلم له متعلقات: تعلق من حيث تقدير الله له في الأزل، ثم تعلق من حيث علمه به موجودًا تامًا. فلا مدخل لمن زعم أنه حدث له علم بعد أن لم يكن.

((وأن قوله {عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ} {إِذًا لَّابْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً} فهذا وغيره مثل قوله: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفي عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} يعني فوق العرش، والعرش فوق السماء، لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك قال: {فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ} [التوبة:٢] يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها. وكذلك قوله {وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه:١٧] يعني: فوقها عليها.

وقال: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} ثم فصل فقال: {أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ} ولم يصل، فلم يكن لذلك معنى . إذ فصل بقوله: {مَّن فِي السَّمَاءِ} ثم استأنف التخويف بالخسف . إلا أنه على عرشه فوق السماء.

وقال تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [السجدة:٥]، وقال: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج:٤] فبين عروج الأمر وعروج الملائكة، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه، فقال: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج:٤]، فقال صعودها إليه، وفصله من قوله: {إِلَيْهِ} كقول القائل: اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم وذلك أنه في العلو وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل، وإن كانوا لم يروه، ولم يساووه في الارتفاع في علوه، فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو قال الله تعالى: {بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ} [النساء:١٥٨] ولم يقل: عنده.

وقال تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ • أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى} ثم استأنف الكلام فقال: {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا} [غافر:٣٦، ٣٧] فيما قال لي إن إلهه فوق السموات.

فَبَيَّنَ الله سبحانه أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال، وعمد لطلبه حيث قاله من الظن بموسى إنه كاذب، ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته، لطلبه في بيته أو بدنه، أو حُشِّه، فتعالى الله عن ذلك، ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح.))

هذه الآية التي ذكرها الحارث بن أسد المحاسبي إقرار واضح بعلو الله علوًا ذاتيًا لا تأويل فيه، مع أن القوم يعظمونه لكنهم خالفوه في هذه المسألة فصاروا ينكرون العلو ولا يثبتون إلا علو الصفات وعلو القدر ويقولون هو في كل مكان تعالى الله عن ذلك..

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ

((**قال أبو عبد الله: وأما الآية التي يزعمون أنها قد وصلها . ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه فقال: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [المجادلة:٧] فأخبر بالعلم، ثم أخبر أنه مع كل مناج ثم ختم الآية بالعلم بقوله: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} فبدأ بالعلم، وختم بالعلم، فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا لا يخفون عليه، ولا يخفى عليه مناجاتهم ولو اجتمع القوم في أسفل وناظر إليهم في العلو، فقال: إني لم أزل أراكم، وأعلم مناجاتكم لكان صادقًا . ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق .**)).يعني أراد أن هذا متحقق بين المخلوقات نفسها أنه يمكن أن يكون إنسان في العلو يطلع على أناس في السفل ويقول أنا معكم أسمع وأرى، كما لو اطلع إنسان من هذا المنبر على المجتمعين وقال أنا أسمع كلامكم وأرى مكانكم، وهو أعلى في الدرجة، فكان بذلك صادقًا. فإذا كان يمكن أن يجتمع علو ومعية في المخلوقات فلأن يكون بين الخالق والمخلوق من باب أولى. ها هو مثلاً قائد الطائرة يكون في الفضاء ويتكلم مع برج المراقبة وكأنما هو معهم فيجتمع علو ومعية. وربما مثلاً يبلغون سطح القمر ويحادثونهم بالصوت والصورة مع هذا الفارق الكبير في المسافة. فإذا كان يمكن أن يجتمع علو ومعية في المخلوقات ولا يمتنع ذلك في الأذهان فكيف يمنعونه هم فيما بين الله تعالى وخلقه. فالله تعالى له العلو المطلق لا يخفى عليه من حال خلقه خافية.

((**فإن أبَوْا إلا ظاهر التلاوة، وقالوا: هذا منكم دعوى، خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة لأن من هو مع الاثنين أو أكثر هو معهم لا فيهم، ومن كان مع الشيء فقد خلا منه جسمه وهذا خروج من قولهم.**))

يعني لو أنهم تمحكوا وقالوا هذا تحكم منكم وهذا خروج عن الأخذ بالظاهر عاملونا بظاهر التلاوة، فإنه ألجأهم لظاهر التلاوة وقال أن قوله **{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ} قال إلا هو معهم ولم يقل إلا هو فيهم.**

((**وكذلك قوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق:١٦] لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد. وكذلك قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف:٨٤] لم يقل في السماء ثم قطع كما قال: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء} ثم قطع فقال: {أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ}، فقال {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} إله أهل السماء وإله أهل الأرض، وذلك موجود في اللغة؛ تقول فلان أمير في خراسان وأمير في بلخ، وأمير في سمرقند وإنما هو في موضع واحد**))

لا ربما هو في أي من المواضع الثلاثة قد يقال مثلاً الأمير الآن عين أميرًا في منطقة كذا وكذا، وقد يكون ليس في أي منها فهذا ليس بلازم، فقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} يعني أن ألوهيته ثابتة في السماء وثابتة في الأرض ولا شك أن الله تعالى فوق سماواته.

((**ويخفي عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لا يخفي عليه شيء من الأشياء يدبره، فهو إله فيهما إذا كان مدبرًا لهما، وهو على عرشه فوق كل شيء تعالى عن الأمثال.**))

الحمد لله إذن هذا كلام أئمة من المتقدمين الذين ينتحلهم هؤلاء المتأخرون فكلام الحارث بن أسد المحاسبي فيه دلالة واضحة على إقراره بعلو الله تعالى علوًا حقيقيًا فوق سماواته واستوائه على عرشه استواء حقيقيًا لا كما يقول الأتباع المتأخرون الذين يعظمونه ويقدمونه.

هذا وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ